جماليات مقتضي الحال ومواضع الخروج عنها في القرآن الكريم التقديم والتأخير إنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور

اميرحسين رسول نيا

الأستاذ المشارك الدكتور

علي نجفي ايوكي

طالب الدكتوراه وحيد كريمي راد (الكاتب المسؤول)

v.karimirad@gmail.com

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة كاشان – فرع اللغة العربية وآدابها

الملخص:

تعتبر ملاحظة مقتضي الحال في الكتب البلاغية بين المواضيع البلاغية الاخري من اهم المواضيع، لا بكونها الدليل الوحيد لبلاغة الكلام فقط ، بل بأعتبارها اساس وعامود جميع المواضيع البلاغية، بما ان كل فن من البلاغة في حال ملاحظة المقتضي الحال تكون لها دورفاعل في بلاغة الكلام ؛ ان مقتضي الحال هو استنتاج بما يوحي به ظاهر الكلام فقط ، وان ما يسمي في علم المعاني باسم خروج عن تطبيق الكلام لمقتضي الحال لا يختصرعلي استعماله في مواضيع علم المعاني فقط ، اذن عندما يخرج الكلام عن التطبيق الاعتيادي و الظاهري ويؤول بطريقة مختلفة في جميع الحالات يعتبر بكونه خروج الكلام عن مقتضاه الحالي في ظل اهمية الموضوع ودورها في فهم النص يدور هذا المقال حول موضوع دراسة موضع خروج الكلام عن مقتضي الحال الي جانب دراسة جماليات اهم موضوع اي التقديم والتأخير في القرآن الكريم وان كان الكلام في الظاهر عدولا عن مقتضي الحال ولكنه في الاساس وبأعتبارالمعني قد تم الكلام علي اساس مقتضي الحال.

الكلمات الرئيسية : القرآن الكريم – الجماليات - الخروج عن مقتضي الحال - التقديم والتأخير.

١. المقدمة :

للفصاحة والبلاغة جذور في الأدب العربي في ما قبل الاسلام و قبل نزول القرآن وكان لنقد الكلام ومعرفته معايير وموازين، ولكنه لم يتم آنذآك تأليف كتاب او وضع المفردات حول الادب والبلاغة ، دون أدني شك قد تطورت وتيسرت تناول موضوع مجالات الادب والبلاغة بعد ظهور الاسلام وذلك في ظل الفهم الافضل للقرآن والتعبير عن ابعاده الاعجازية ؛ اللفظية والمعنوية ؛ ولكن من البديهيات أنه لم يوجد آنذاك مصادر قرآنية لاستخراج جميع الموازين والقوانين لهذا العلم وقد يكون كل هذه من ابداعات وموهبة وتدفق الافكار الادبية قبل الاسلام في فكرالانسان، مايتم استنتاجه من امثلة وكلمات ذوي هذا الفن انه حتي ولو كان لهذا العلم ازدهار قبل الاسلام ، لتم استنباط قوانين كثيرة من القرآن الكريم، هذا الكتاب السماوي من حيث الاسلوب ونمط اداء الفكرة ،استخدام التعابير المناسبة واعتبار الملاحظات الادبية والبلاغية؛ تجاوز حدود مقدرة الانسان وبلغ ذروة الاعجاز، ان الله سبحانه وتعالي ابدع اسلوب جديد في استخدام اللغة وجددها وغيرها من الوجه المألوف لنا وعلي ماذكرنا ان مواضع الخروج عن تطبيق الكلام من المقتضي الحال هو جزء لا يتجزء من القران الكريم ، ان هذا الكتاب الزاخر بالمفاهيم الوحدانية يقتضي أحيانا ان يعدل عن الحدود والتقاليد اللغوية قبل الاسلام، لا تعتبر مواضع خروج الكلام عن مقتضاها الحالي ضعف او نقص بل يعتبر نقص الانسان وضعف علمه وعدم مقدرته علي استيعاب وتكوين قوانين معينة وشاملة في هذا المجال، وفقا علي ما قلنا؛ قمنا في هذا البحث بدراسة الابعاد التالية عن اعجاز القرآن وبهذه الرؤية وذلك بأن معرفة القران يحتاج الي علم يخرج عن القواعد والاصول المعهودة ولربما احيانا لا يستطيع الفهم البشري ان يعرفها ويطّلع عليها ولخطورة الموضوع قمنا في هذا المقال بدراسة نوع من انواع خروج الكلام من المقتضي الحال واستشهدنا بآيات من القرآن الكريم ومن ثم نقوم بدراسة جماليات الموضوع.

واما السؤال الذي قمنا بمعالجته في هذا المقال هو أن :الي ماذا يشير وجود اسلوب التقديم والتأخير في القران الكريم بوصفه إحدي ميزات خروج الكلام من مقتضي الحال؟ والي أي مدي تساعدنا القواعد البلاغية في الوصول الي المعرفة الكاملة عن القران الكريم؟

قد أُنجز في القرن التاسع عشر دراسات جمالية علي النصوص في إطار القوانين البلاغية الكلاسيكية وهذا أدي الي انجاز خطوات في مسارات جديدة علي اثر دراسة علم اللغة وقد وضع الحجر الاساس لهذا العلم ، العالم تشارلز بالي احد تلامذة سوسور، فهذا العلم الحديث العهد يقوم بتوصيف القدرات اللغوية في دراسة ميزات الإنتاج الأدبي ونسبة تأثيرها علي المتلقي وله صلة وثيقة بعلم اللغة إلا إن الأسلوبية تتناول الانتاج والانجاز وتأثيره علي المتلقي لا اللغة بذاتها (ربابعة،٢٠٠٣، ٩)

وجدير بالذكربأن احيانا يطلق علي العناصر الأسلوبية اسم الإنزياح والخروج عن تطبيق الكلام لمقتضي الحال وفي البلاغة الكلاسيكية يسمي التغريب والعدول عن الاساس، كل من الاساليب البلاغية والعناصر الجمالية للنصوص الادبية تعتبر من ضمن العدول عن الكلام من الحالة الطبيعية والمعايير الاسلوبية وتعزيز القدرة اللغوية بالاضافة الي كسر الرتابة والملل والاعياء في الكلام ، تحتضن الاسلوبية مختلف العلوم كعلم اللغة، الجماليات والبلاغة وتقوم بدراسة وتقصي النص من عدة زوايا ومستويات كاللفظ ، التشكيل ، المعني، المفردات، النحو، اللهجات ، الصورة الذهنية وغيرها ، ومن حيث ان المحور الاساس في مستوي التشكيل هي دراسة بدائل الكلام وكيفية اختيار وتعريف المفردات التي بينهما علاقات وطيدة لفظية ومعنوية ، وبعبارة اخري يتم دراسة العبارات من حيث قصر وطول العبارة ومكونات ها الاسلوبية كالاستفهام ، الامر والنهي، التأكيد وغيرها وايضا الدلالات البلاغية للعبارات ، اذن في هذا البحث قمنا باستثمار البلاغة في مجال دراسة جماليات آيات القرآن علي الصعيد الشكلي وايضا مواضع خروج الكلام عن مقتضي الحال ، ولكن لا تتسع نطاق هذا الموضوع من بين المواضيع البلاغية ، قمنا بأختيار التقديم والتأخير والاستشهاد بآيات القرآن ومن ثم بدراسة وتحليل خروج الكلام من مقتضي الحال في الآيات وبيان جمالياتها، فإن أهم غاية هذا البحث هوتحديد حالات خروج الكلام عن مقتضي الحال وايضا تصنيف حالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم بأعتبارها أهم حالة خروج الكلام عن التطبيق لمقتضي الحال وجمالياتها، وقد تم بعض البحوث في مجال خروج الكلام عن مقتضي الحال وايضا التقديم والتاخير منها مقال « الانزياح وتسليط الضوء علي سورة الواقعة المباركة » للدكتورهومن ناظميان (مجلة الادب واللغة العربية جامعة خوارزمي،

الرقم العاشر، الربيع والصيف ١٣٩٣). ومقال « آثار العدول في سورة مريم(س)» محمد نبي احمدي وعبد الصاحب نوروزي (مجلة فصلية _علمية ، دراسة قرآنية_ أدبية، االسنة الاولي، الرقم الثالث، الخريف١٣٩٢) ، في هذين المقالين قام الكتاب بدراسة العدول في سورة واحدة ولكن لم يحددو الجوانب المعنية وأما المقالة الثانية : هي « الإنحياز في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم » قاسم مختاري ومطهرة فرجي طالبان في مرحلة الماجستير في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة اراك (مجلة فصلية علمية _ دراسية، بحوثية قرآنية_ ادبية، السنة الاولي، الرقم الثاني، صيف ١٣٩٢) في هذا المقال قام الباحثان بدراسة العدول في الجزء الثلاثين فقط ولكنهم ايضا لم يذكروا الجوانب المعنية ، أي لم يحددو بالضبط ما درسوه حول يجب تحديد البحث الذي يتم تقديمه كمقال ، ايضا رسالة الماجستير « التقديم والتأخير البلاغي في الاجزاء الثلاثة الاخيرة من القرآن الكريم » علي اكبر رئيسي من جامعة سيستان وبلوتشستان ، وقد قام الباحث بدراسة وجهات نظر كبار علماء البلاغة وذكر أسبابهم في هذا المجال و لكنه لم يقوم بدراسة التقديم والتأخير بأعتباره حالة من حالات خروج الكلام من مقتضي الحال وجمالياته .

وفقا لما ذكرنا، لم يأتي أي باحث بدراسة متماسكة وشاملة في مجال التقديم والتأخير بأعتبارها احدي مصاديق خروج الكلام ، إذن يتضح لنا ضرورة القيام بهكذا بحوث ونحن نسعي بتقديم موضوع التقديم والتأخير من حالات خروج الكلام عن مقتضي الحال بأعتباره خدعة فنية وقمنا برداسة وترسيم الجماليات البلاغية وكيفية استخدام هذا الفن، في البداية اثبتنا أن حالات خروج الكلام من مقتضي الحال لا تقتصر علي اساس استخدامها في تأكيد الكلام بل لها تطبيقات مختلفة منها موضوع التقديم والتأخير ، ومن ثم ما يتم تقصيه ودراسته في القرآن بأعتباره التقديم والتأخير لها ابعاد ظاهرية فقط ؛ اذن علي هذا الاساس يمكننا البوح بأن لم يتم إجراء أي تقديم وتأخير في القرآن الكريم بمعني أن الغاية التي اراد بها الله هي التي أدت الي ان يحدث التقديم والتأخير في الكلام وقبل ما ندخل الي صلب الموضوع نقوم بتبيين الخروج عن مقتضي الحال.

١_١. مقتضي الحال: تختلف مواقف الناس عندما يتلقون خبر ما فبعض منهم يصدقه والآخر يكذبه او ينفيه والبعض عندهم الشك والظنون في صحة الخبر، فالشخص الذكي والفطن يراعي هذه الأمور ويتكلم حسب إقتضاء الكلام، هو يعلم ان المتلقي المنافي له والمتلقي الذي يستفسراو المتلقي الخالي الذهن يختلفان وهذا العلم والمعرفة يساعده في إستخدام الجملات الاخبارية التأكيدية او الغير تأكيدية (ميرحسيني، ١٣٩٣، ٤٨).

قسم البلاغيون الخبر الي ثلاثة اقسام ؛ الخبر الابتدائي ، الخبر الطلبي، الخبر الانكاري.

في البلاغة وفي الخطاب ان كان المخاطب خالي الذهن ولم يكن لديه شك او انكار في الحكم فيأتي الكلام حينئذ من دون أدوات التأكيد فهذا هو الخبرالابتدائي اما الخبر الطلبي عندما يكون لدي المخاطب شك او ترديد في قبول الخبر فالافضل ان نصطحب الخبر بأدوات التأكيد لنزيل الشك عند المخاطب اما الخبر الانكاري هو ان يكون المخاطب منكرا للخبر فيحتاج الي اكثر من مؤكد حتي يتقبل الخبر(الميداني ، ١٩٩٦، ١/ ١٧٨- ١٧٩).

ان لغة القران هو أفصح وابلغ الكلام ولهذا فيه اكثر التطابق بأقتضاء الحال و اكثر صلابة وترابط بين اللفظ والمعني، والقرآن بكونه نص ديني _ أدبي قد دقق كلامه التفاتا الي مقتضي الحال ومراعاة البلاغة لأن لكل مخاطب ومتلقي أسلوب خاص ومميز في الحوار، فعلي سبيل المثال هناك مخاطب خالي الذهن يحتاج الي الخبر الابتدائي وفاقد للتأكيد كما جاء في الآية ٤٦ من سورة الكهف : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

اما للمخاطب المتردد في حكم الخبر والذي يحتاج الي المعرفة والحقيقة نستخدم الخبر الطلبي مع التأكيد كما جاء في آلاية ١٨ من سورة الاحزاب : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ ويقتضي الحال بالنسبة للمخاطب المنكر للخبر والذي لا يقبل الخبر ان نأتي بأكثرمن مؤكد حتي يتقبل الخبر .

١_٢. الخروج عن مقتضي الحال: للدراسة والأستقصاء في مستوي تطابق الكلام واقتضاء الحال وبعبارة اخري لتحديد اوضاع البلاغة في الكلام والمتكلم فيجب دراسة جميع اقتضاءات العوامل التي تشكل الكلام وكما يعتقد الباحثون ان مكونات التواصل

اللفظي هي أربعة : المتكلم ، المخاطب، الكلام و بنية الموقف ؛ فكل واحد من هذه المكونات في اي لغة كانت لها ميزات حيث يؤثر مقتضياتها علي كيفية التواصل وميزاتها بشكل عام ، والتعرف علي ميزات اللغة في أي نص يتطلب معرفة ميزات المتكلم ، المخاطب ، ميزات النص، والغاية من تجميع محتوي النص (سعيدي روشن، ١٣٨٩، ٣٦٥- ٣٦٩)، دراسة هذه السمات في اي نص وبالأخص في القرآن يتطلب ظروف معينة يجب الانتباه اليها في تحليل الكلام (همتيان، ١٣٩٤، ٩).

وفي الكثير من الاحيان يأتي الكلام علي خلاف مقتضي الحال ، بمعني انه يفترض الشخص الخالي الذهن بمثابة شخص لديه سؤال كما نري في الاية ٣٧ من سورة الهود : ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾ هذا الكلام الي حدما يكشف عن الخبر ويشير الي ان العذاب بات وشيكا علي الظالمين ، في النتيجة نري ان المخاطب يتسائل هل هم الذين حكم عليهم بالغرق أم لا؟ ويضف قائلاً« أنهم مغرقون» ويجب علي المخاطب التأكيد بطريقة «إن» ؛ وايضا يعتبر الغير منكر للحكم (خالي الذهن ، المتردد) بمثابة المنكر عندما يتبين علائم الانكار علي الغير المنكر كالاية ١٥ من سورة المؤمنون: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ﴾ ويعتبر الشخص المنكر بمثابة الشخص الغير منكر كالاية ١٢ من سورة طه : « اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوي» في هذه الاية نري ثلاث عبارات تأكيدية : إنَّ ، تكرار ضمير المتكلم إنّي وأنا ، الجملة الاسمية (طيب، ١٣٧٨، ٩/ ١٣).

في الامثله التي ذكرناها يكون الخبر من النوع الانكاري وذلك حسب مؤكدات وحالات النبي موسي (عليه السلام) ، في حال ان النبي لاينكر هذا الخبر « اني انا ربك » ولأنه بسماع صوت ربه أُصيب بحالة خاصة ، ويعتبر حالته بمثابة الانكار وهذا التأكيد انما هو لأزالة الانكار يعني كن علي يقين بأني ربك (كاشاني،١٣٣٦، ٥/ ٤٥٤)، انما الله سبحانه وتعالي بهذه الطريقة ينبه النبي موسي (عليه السلام) بأنه في سرية مع ربه وانه في رعاية ورحمة الله وعلي هذا الاساس ان هذا الكلام في الظاهر قد جاء علي خلاف مقتضي الحال وان النبي موسي(عليه السلام) لا ينكر وجود الله بل يعتبر حالته هاذه بمثابة الانكار وجاء الخبر علي شكل الانكاري.

مانعرفه في علم المعاني بحالات خروج الكلام عن مقتضي الحال لا تقتصر علي المعاني فقط بل كلما خرج الكلام من مقتضي الظاهر و جاء بطريقة اخري نعتبره من مواضع الخروج عن مقتضي الحال ، علي سبيل المثال عندما يجب تقديم عبارة في جملة ما ولكن يتم تأخيره و.... كلها تُعتبر من مواضع خروج الكلام عن مقتضي الحال ؛ في كل هذه الامثلة وان تكن في الظاهر خروج ولكنها في الاساس تم مراعاة سياق الكلام ، اذن يمكننا القول ويمكننا أن نسمي في الظاهر خروج الكلام عن مقتضي الحال .

٢. **التقديم والتأخير:** احدي اجمل حالات خروج الكلام عن مقتضي الحال واكثرها شيوعا هي التقديم والتأخير، هي عبارة عن تبادل مواضع العبارات في الجملة بغاية ايجاد البلاغة في الكلام وقد وصل النحويون في موضوع التقديم والتأخير الي نتائج جديرة بالملاحظة والتي ساهمت كثيرا في تكوين وتطويرعلم النحو، مثلا السيبويه هو أول نحوي اولي اهتماما بموضوع التقديم والتأخير، وغيره من العلماء والبلاغيون ايضا تناولوا التقديم والتأخير اعتمادا علي موضوع المعني ولهذا كثر ذكره في كتب البلاغة ، فعلي سبيل المثال ان عبد القادر الجرجاني هو اول عالم بلاغي اهتم لهذا الموضوع وقام بتبيين أغراضه وبعد ذلك قام السكاكي بدراسة علم المعاني والنحو كل علي حده .

إذن للتقديم والتأخير مكانة مميزة بين غيرها من المواضيع البلاغية وأولي البلاغيون انتباها جديرا بموضوع التقديم والتأخير لأنه احدي اساسيات علم المعاني وبسببه يعرف احوال الكلام وينطبق الكلام علي مقتضي الحال. التقديم والتأخير ميزة اسلوبية و لجماليتة اثر كبير في خلق صورة دلالية وصلبة وايضا تطابقها بمقتضي الحال، هذه الطريقة تعتبر احدي الطرق الاكثر كفاءة في كشف المعاني الثانوية وتجعل المعاني تابعة للأعتبارات الخاصة الذي يريدها المتكلم ، في التقديم والتأخير هناك جانب من اللفظ لم يترك علي ماهو و انما اصبح في المقدمة حتي يشير الي الفوارق المعنوية التي تأتي بعد التغييرات الظاهرية في الكلام (رئيسي، ١٣٩٢، ٢).

وقد نري كثيرا من هذه الاساليب في القرآن الكريم حيث نري ان القرآن بهذا الاسلوب يحرض المتلقي لفهم الفوارق بين الأساليب والعبارات الثانوية و ادراك عمق المقال و مغزي الكلام و يطلب منهم ان يستخدموا هذه الاساليب بكل دقة وحساسية ، في الحقيقة قام القران بتغيير تسلسل مكونات الجملة وقام بأيجاد ابهام فني ليثير جهد

المتلقي وهذا يدفع الانسان لقبول آيات القران ، من جانب آخر من منظور التشكيل المنطقي يمكننا تقسيم التقديم والتأخير الي ثلاثة اقسام اساسية:

٢_١. التقديم والتأخير المكاني (الاسنادي):

نري في قواعد اللغة العربية ان لكل جزء وقسم من المفردات مقام وترتيب في الجملة ولكن في النصوص الادبية لا يجب رعاية هذه الترتيبات والاصول ويمكن الانزياح والخروج من مقتضي الحال وهكذا يتميز النص (مختاري، ١٣٩٥، ٦٥)، كالآية ٤٦ من سوره الحج : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ او الآية ١١٧ من سورة المؤمنون : ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾اذ جاء في آلاية علي شكل الضمير ومن ثم فسرناه افضل من ان يأتي من دون الضمير لأنه في هذه الحالة يكون الكلام اكثر صلابة والافضل ان نقول: «إنَّ الأبصَارَ لاتَعْمَي» و «إنَّ الكافِرينَ لايفلِحُون»؛ لأن في هكذا حالات يأتي من دون ان يلفظ بالضمير، فمن بديهيات الخبرعن الشيء هو الخبر بعد ذكر الاولويات بمثابة تكرار الخبر وهذا يؤدي الي صلابة وقوة الخبر (الجرجاني، ١٣٨١، ٨٨ ، الرازي، ١٣١٧، ١٢٣).

بالاضافة الي هذه الميزة ، بعض الاحيان يأتي التقديم لأفادة الحصر ، كتقديم المفعول به في هذه الآية : ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (فصلت، ٣٧) ، لأن معناه هكذا: ان تختصونه هو فقط بالعبادة (سكاكي، ١٣١٧، ١٢٦، القزويني، ١٣٨٥، ٦٧، ابن مالك الاندلسي، ١٣٤١، ٢٣). او في الاية ١ ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ المتعلق ل « الشهادة» يعني « علي الناس» جعله في المرتبة الاولي مؤخرا وفي المرتبة الثانية مقدما لانه في المرتبة الاولي الغاية هي اثبات الشهادة علي الامم وفي المرتبة الثانية اختصاص الشهادة للنبي(ﷺ) عليهم (زمخشري، ١٣٤٣، ٣١٨/١، سكاكي، ١٣١٧ ، ١٢٦، القزويني، ١٣٨٥، ٦٧)، علي الاكثر ان تعبير شهادة الامم المسلمة علي جميع الناس وايضا شهادة الرسول (ﷺ) علي المسلمين هو يشير الي مفهوم الاسوة و القدوة لأن دائما يتم اختيار الشهيد و الشاهد من بين الاشخاص

المميزين ، اي انكم بهكذا عقائد ومباديء تكونون افضل الامم كما كان نبيكم افضل الناس (مكارم شيرازي،١٣٨٧، ١/ ١٤١).

بعض الاحيان ممكن ان يكون التقديم للتشجيع والتحريض للقيام بمهمة ا والتخويف والترهيب من ذلك العمل كتقديم تنفيذ الوصية علي مهمة دفع الدين في الاية ١١ من سورة النساء حيث يقول الله سبحانه وتعالي: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ (﴿ مراحل تقسيم الارث هي ﴾ بعد تنفيذ الوصية او دفع ديون الميت)؛لأن من الناحية الشرعية أداء الديون أولي من تنفيذ الوصية ولكن هنا قدمت الوصية لأنهم كانوا يتهاونون بتنفيذها علي خلاف الدين .(السيوطي، ١٩٧٥، ٣/٤٤).

وجدير بالذكر ان الزمخشري يقول حول هذه القضية : فإن قلت: لم قدّمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين فإنّ نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة (أو) للتسوية بينهما في الوجوب (الزمخشري، ١٣٤٣، ١/ ٥٠٨). ولكن يجب عرض التقديم والتأخير في اطار محدد ومعين حتي يساعد الي فهم العبارة ولايتسبب في تعقيد الكلام ، ولقد عينوا اسباب واسرار اخري لهذا النوع من التقديم والتأخير، فعلي سبيل المثال ان صاحب كتاب « البرهان في علوم القان□ عين ٢٥ غرضا بلاغيا لهذا الموضوع.

٢_٢. التقديم والتأخير الزمني (المعنوي):

والمراد من التقديم والتأخير الزمني أو المعنوي أنه نواجه في القرآن الكريم عبارة تم تقديمه في الظاهر ولكنها اخرت في النية وذلك عندما نقرأ القرآن الكريم نري ان بعض الاحيان ينقل الاحداث التي وقعت في مسار زمني منطقي كما يحدث في الخارج تماما، ولكنه احيانا ما يتبعثر هذا التوالي وتكون العبارات مطابقة بلغة المبدأ ولكنها لا تتميز بالمجري الزماني الاعتيادي ، ومما كانت العلاقة وثيقة بين الالفاظ ومعانيها يمكننا القول بأنها حدثت في مثل هذه العبارات التقديم والتأخير وان تم تقديمه لغاية معنوية ولكن

المعني متأخر وكأنه كسر القواعد وحالة شاذة ، وكما تبدو في هذه الانواع من التقديم والتأخير ان المعني قد تشابه عليه وبعد تقصي الزمن يتبين انه كان من ناحية التقديم والتأخير .

وجدير بالذكر انه قام بعض الاسلاف من البلاغيون والمفسرين بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم (المختاري ١٣٩٥_٦٨) منها الآيتين ١و٢ من سورة الكهف ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾ يعتبر بعض البلاغيين والمفسرين ان نمط الآية هي من ناحية التقديم والتأخير وهي مقدرة ويعتبرونها كالتالي : « أنزَلَ علي عَبدِه الكتابَ قَيماً وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجاً» (الرازي، ١٤١٣، ٧٦، سيوطي، ١٤٢٩، ٤٤٦) وهم يعتبرون كلمة «قَيما» انما هي حال لكلمة «كتاب» بأعتبارها صفة مشبهة وانها تدل علي الثبات الذاتي والدائم ، يمكن ان يعتبر البعض انه هناك قليل من العوج ، اذن للرد علي هذه الشبهة المقدرة جاء التعبير « وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجا» تمهيدا للأحتراس، واما حول سبب تقديم هذه الجملة « وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجاً» في هذه الآية يمكن القول بأنه تأكد علي الاكتراث علي هذا الموضوع اونوع من انواع التحدي أمام الكفار، أي إنها صرخة في وجه الكفار ليتدبروا في هذا الكتاب السماوي حيث لا يوجد فيه نقص (مختاري، ١٣٩٥، ٦٩).

ومن جهة اخري فان بعض من المفسرين كالعلامة الطباطبائي، الزمخشري والفخرالرازي لم يقبلوا هذا الرأي ويبدو لهم ان ترتيب الآية كما اتي في القرآن الكريم لأن الآية الكريمة « وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجاً» يعني القران الكريم هو كامل بذاته وان « قيماً» هي بمعني ان القران هو امتداد ومكمل الكتب السماوية وبالطبع ان صفة الكمال الذاتي تسبق الصفة التكاملية (الطباطبائي، ١٤١٧، ٢٣٤، الرازي، ١٤١٣، ٧٦).

من جهة اخري لأنه عطفت العبارة « وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجا» علي جملة الصلة يعني « أنزَلَ علي عَبدِه الكتابَ» فأن اعتبرنا « قيماً» جملة حالية لـ « الكتاب» قد اوجدت الجملة المعطوفة فجوة بين الحال وصاحب الحال وهذا غير صحيح ، اذن يجب ان نقول بأن « قيما» هو حال لضمير «الهاء» لفعل محذوف وتقديره هكذا : « وَ لَم يجعَل لَهُ عِوَجا جَعَلَهُ قَيما» وفي هذه الحالة تكون الجمع بين نفي العوج وتأييد الثبوت للقران

الكريم هو تأكيد وتكرار (الزمخشري، ١٤٣٠، ٦١٢، العكبري، ١٤٢٢، ٥٢٣، صافي، ١٤١٦، ١٤٠).

المثال الآخر في هذا المجال هو الآيتين ٧٢ و٧٣ من سورة البقرة اذ يقول سبحانه وتعالي: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾ ويقول الفراء في تفسير هذه الآية : {هذه بداية القصة وان جاءت متأخرة} ؛ (الفراء البغوي الشافعي، ١٣٤٣، ١/ ٢٠٥ با حاشية تفسيرِ ابن كثير).

ويقول الواحدي في تفسير هذه الآية: « ان الاختلاف حول القاتل كانت قبل ذبح البقرة ولكنها جاءت مؤخرة في الكلام فقط لأنه عندما قال الله سبحانه وتعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ عرف المتلقون ان عليهم ان يذبحوا البقرة لانهم لا يستطيعون معرفة القاتل وعندما تيقنوا من هذا الامر أضاف سبحانه وتعالي قائلا :﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ومن ثم سألوا موسي فأجابهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (الواحدي، بي تا، ٢٣٣- ٢٤٥).

ايضا يقول الزمخشري:« فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدّم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذا قتلتم نفساً فأدّارأتم فيها فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟ قلت: كل ما قصّ من قصص بني إسرائيل إنما قصّ تعديداً لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعاً لهم عليها، ولّما جدّد فيهم من الآيات العظام. وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع».

٢_٣. ما تم تقديمه في آية وتم تأخيره في آية اخري:

ان هذا النوع من التقديم والتأخيريشتمل علي كثير من الدقة والعجائب ولايستطيع فهمه ألا الذين أنعم الله عليهم البصيرة والقدرة علي إدراكها (شيخون، بدون تا، ١١٧) كقوله تعالي في الآية ١٥١من سورة الانعام : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ والآية ٣١ من سورة الاسراء ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾.

في بيان هذا يمكننا القول بأن : في الآية الاولي قام بتقديم صيغة جمع الضمير المخاطب ولم يقدمها في الآية الثانية ، لأن في الآية الاولي المخاطبين هم الفقراء لانه قال: « من إملاق» إذن أرزاقهم أهم من أرزاق أبنائهم فقام بتقديم أرزاقهم علي أرزاق أبنائهم ، وفي الآية الثانية خاطب الأغنياء لأنه قال تعالي : « خشية املاق» فأن خوفهم هومن شيء لم يأتي بعد وغايتهم أرزاق ابناءهم لا أرزاقهم ، لأنهم مرزوقون بالذات وهذا أهم شيء تم تقديمه . (القزويني، ١٣٨٥، ٦٨).

وايضا يقول سبحانه وتعالي في الآية ٨٣ من سورة المؤمنون : «﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ ﴾ وفي الآية ٦٨ من سورة النمل : « لقد وُعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبلُ». ينبغي علينا أن نتطرق الي هذا ان في سورة المؤمنون قام بذكر المفعول الثاني في محله اذ أتي به بعد المرفوع وما يتبعه ، ولكن في سورة النمل تم تقديم المفعول الثاني علي الضمير والمعطوف عليه لأنه أهم من ذلك وما جاء في قلبه يدلينا علي هذا الموضوع : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ (النمل ٦٧) وأيضا ما جاء قبله في الاية ٨٢ من سورة المؤمنون حيث يقول سبحانه وتعالي : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾. والغاية منها في سورة المؤمنون هي انهم فقط سيصبحون تراب، اما في سورة النمل انهم وآبائهم معا سيصبحون عظاما ، وان التراب في قضية الرجعة ابعد في الاذهان من العظام وتم تقديمها علي سبيل الاهتمام لانها في مقام النكران (السكاكي، ١٣١٧، ١٢٩)

او في الآية ٢٣ من سورة الجاثيةحيث يقول سبحانه وتعالي :﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ والآية ٧ من سورة البقرة : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

اما حول جماليات الآيتين المتشابهتين يمكننا القول بأن الآية ٢٣ من سورة الجاثية تم تقديم السمع علي القلب اما في سورة البقرة علي عكس ذلك لأن كفار المكة كان في قلوبهم البغضاء والحقد بالنسبة للنبي (ﷺ) ولم يستمعوا اليه وكان الكفار من اهل المدينة يلقون الي الناس بأن النبي (ﷺ) هو شاعر وساحر ويريد السلطة والامارة ، لهذا عندما كانوا يسمعون ذلك يبغضون النبي (ﷺ) ويكرهونه في قلوبهم وعلي هذا كان يدخل هذا الاحساس من اجسامهم الي نفوسهم اما في الحالة الاولي كان يتصاعد من النفس الي الجسم ، علي هذا الاساس جاء كل من الايتين علي ترتيباتها الاصلية (القمي النيسابوري، ١٣٨١، ٢٥/ ٧٨).

٣.النتائج:

احدي اسباب مقومات الحديث (خروج الكلام عن مقتضاها الحالي) تسليط الضوء علي اقسام من الكلام للفت انتباه المتلقي والتأكيد عليه وتعتبر التقديم والتأخير احدي اهم مظاهرذلك .

ان التقديم والتأخير نمط اسلوبي وله دور مميز وهام في نقل مفاهيم القران الكريم وبالأخص الكشف عن المعاني الثانوية للقرآن وذلك تجعل المعاني تابعة للأعتبارات المناسبة حيث يعنيها المتكلم ؛ في الحقيقة ان القران الكريم قام ببعثرة ترتيب أجزاء الجملة وأدي هذا الي الابهام الفني وحض القاريء علي التدبر في هذا الأمر وبالنهاية يؤدي الي ترسيخ تأثيرها علي النفوس، اما لم يدع الجانب اللفظي في هذه المواقف ولكنها بتقديمها يسعي بأيجاد فوارق معنوية والتي تنبع من التغييرات الظاهرية في الكلام . التدقيق في هذه المواضع وفهم جمالياتها تساعدنا في فهم القران وابعادها الاعجازية ، جماليات هذه النماذج (خروج الكلام من مقتضاها الحالي) تحفز هذه النقطة بأن ابعاد هذه المواقف اوسع مما نراها في الكتب البلاغية ؛ اذن مواقف خروج الكلام من مقتضاها تشتمل جميع الحالات التي يخرج الكلام من مجراه، ولهذه الحالات مصاديق في البديع

والبيان بالاضافة الي علم المعاني كالتقديم والتأخير ، الذكر والحذف،الالتفات ، التكرار، تجاهل العارف ، اسلوب الحكيم وايضا مواقف كالتشبيهات المعكوسة والتمثيل وغيره .

قمنا في هذا المقال بدراسة موقف من مواقف خروج الكلام من مقتضاها والتقديم والتأخير في القران الكريم واستنتجنا في ذلك ما تم ذكره كان في الظاهر ولكن يمكن الوصول الي دليل هذه الامور بنظرة اكثر دقة وجمالية وهكذا يتضح لنا جمال وعجائب كلام الله سبحانه وتعالي.

Abstract

Among issues mentioned in writings on rhetoric, fulfilling requirements of condition is not only a critical necessity for eloquence of any discourse but also a fundamental and basic term in all rhetorical issues in a way that observing it in any rhetorical technique makes discourse more eloquent. Condition requirement means that no discourse might be open to any interpretation except whatever the surface structure of the discourse denotes. Laying down "condition requirement" is not limited to semantics or use of stress in discourse. Thus, when the discourse deviates from norm of its outside from, the adherence to "condition requirement" can be investigated.

Considering this condition and its role in text comprehension, the current research has investigated violation of condition requirement in discourse and aesthetics of adherence to it in holy Quran, on top of that in transpositions.

Keywords : Aesthetics , Holy Quran , Transposition , Violating Condition Requirement

قائمة المصادر والمراجع

وخير مانبتدىء به القرآن الكريم (ترجمه الأستاذ ابوالفضل بهرام پور)

- ابن مالك الاندلسي الطائي، بدرالدين، المصباح في علم المعاني و البيان و البديع، المطبعة الخيرية بالقاهرة، ١٣٤١.
- الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الاعجاز، القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- الدياجي، سيد ابراهيم، بدايه البلاغه، تهران، سمت، چاپ اول، ١٣٧٦.
- الرازي، فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة، ١٣١٧.

- الرازي، محمدبن ابي بكر بن عبدالقادر، أنموذج جليل في أسئله و أجوبه عن غرائب أي التنزيل، تحقيق: عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودي، رياض، دار عالم الكتب، ١٤١٣.
- ربابعه، موسي، الاسلوبيه و مفاهيمها و تجلياتها، إربد (اردن)، دارالكندي للنشر و التوزيع، ٢٠٠٣.
- رئيسي، علي اكبر، (تقديم و تاخير بلاغي در سه جزء آخر قرآن كريم)، مقطع كارشناسي ارشد، استاد راهنما رضا رضايي، دانشگاه سيستان و بلوچستان، دي ١٣٩٢.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، القاهره، دار الحديث، ١٤٢٧.
- الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمر، تفسير الكشاف، بيروت، دار المعرفه، الطبعه الثالثه، ١٤٣٠.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المطبعة البهية المصرية، ١٣٤٣.
- سعيدي روشن، محمد باقر، تحليل زبان قرآن و روش شناسي فهم آن، قم، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، تهران، پژوهشگاه فرهنگ و انديشه هاي اسلامي،جلد چهارم، سازمان انتشارات، ١٣٨٩ .
- السكاكي، أبي يعقوب، مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية بالقاهرة، ١٣١٧.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، مؤسسه الرساله،١٤٢٩.
- السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
- شهبازي، محمود، اصغر شهبازي، (تبيين ظرافت هاي بلاغي سوره قيامت و دلالت هاي تفسيري آن با رهيافت سبك شناختي)، فصلنامه علمي- پژوهشي « تحقيقات علوم قرآن و حديث» (دانشگاه الزهرا «س»)، سال سيزدهم، شماره ٤، زمستان ١٣٩٥.
- شيخون، محمود السيد، أسرار التقديم و التاخير في لغه القرآن الكريم، القاهره، دار الهدايه، بي تا .
- صافي، محمود، الجدول في اعراب القرآن و صرفه و بيانه، جلد ١٥ و ١٦، دمشق، دار الرشيد، الطبعه الثالثه، ١٤١٦.
- الطباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جلد١٣، بيروت، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧.

- طيب، سيد عبد الحسين، اطيب البيان في تفسير القرآن، تهران، اسلام، چاپ دوم، ١٣٧٨ .
- العكبري، أبوالبقاء عبد الله بن الحسين، التبيان في اعراب القرآن، مصر، دار اليقين، ١٤٢٢.
- الفراء البغوي الشافعي، أبي محمد الحسين، معالم التنزيل، بهامش تفسير ابن كثير، القاهرة، ١٣٤٣.
- القزويني، جلال‌الدين ابي عبدالله محمد بن سعدالدين ابي محمد عبدالرحمن، الايضاح، مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة، ١٣٨٥ ق - ١٩٦٦ م.
- القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، القاهره، مطبعة مصطفي البابي الحلبي،١٣٨١ ق - ١٩٦٣ م.
- كاشاني، ملا فتح الله، تفسير منهج الصادقين في الزام المخالفين، تهران، كتاب فروشي محمد حسن علمي، ١٣٣٦ .
- مختاري، قاسم، غلامرضا شانقي، (تطبيق عناصر زيبايي شناسي قرآن كريم با نظريه هنجار گـريزي نحوي نمونه مورد پژوهانه: سوره مباركه كهف)، فصلنامه علمي- پژوهشي «پژوهش هاي ادبي-قرآني»، سال چهارم، شماره اول، ٦٥، بهار ١٣٩٥ .
- مكارم شيرازي، ناصر، برگـزيده تفسير نمونه، (جلد اول)، تنظيم و تحقيق: احمد علي بابايي، دارالكتب الاسلامية، چاپ ششم، ١٣٨٧.
- الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغه العربيه أسسها و علومها و فنونها، دمشق، دار القلم، چاپ چهارم، ١٩٩٦.
- ميرحسيني، محمد، نرگـس انصاري، زهرا سليمي، زيبايي شناسي اسلوب حكيم در قرآن(بررسي موردي ده جزء مياني قرآن)، فصلنامه علمي- پژوهشي «پژوهش هاي ادبي- قرآني»، سال دوم، شماره چهارم، ٤٨، زمستان ١٣٩٣.
- الواحدي، علي بن احمد بن محمد بن علي أبي الحسن، البسيط في التفسير، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢٨٢ تفسير، بي تا.
- همتيان، محبوبه، تحليل بلاغي عوامل موثر در ساختار كلامي « كوثر» قرآن، فصلنامه علمي- پژوهشي «پژوهش هاي ادبي-قرآني»، سال سوم، شماره سوم، ٩، ١٣٩٤ .